مجلة البدر المجلد 10 العدد 09سنة 2018 ISSN 2170-0796

بنية الخطاب الصوفي في العصر العباسي
-رابعة العدوية أنموذجا-

مدرق نارو زوليخة
مخبر التأويل والدراسات الثقافية المقارنة
جامعة عباس لغرور خنشلة

ملخص:

يتوسع هذا البحث في نطاق التصوف في محاولة جادة إلى تسليط الضوء على ارهاصات الخطاب في العصر العباسي الأول والثاني، ففي العصر العباسي الأول شاعت حياة الترف والمجون حتى أضحت هذه الظواهر غير مستنكرة، فكانت هناك موجات من زهد فاسد ومزندق، هذا الأخير والذي يدعو إلى متاع الدنيا والترغيب فيها واستباحة ما يستنكر من الفواحش والتفسخ الأخلاقي، أما العصر العباسي الثاني فقد شاع فيه التصوف واتسعت رقعته واتضحت معالمه ومبادئه فبدا الشعراء بكتابة الشعر في هذا العصر وأعلن المتصوفة تمسكهم واقتدائهم بكتاب الله حتى تأصلت فكرة المعرفة الالهية ومحبة الله وأن الصوفية أولياء الله ومن بينهم الشاعرة "رابعة العدوية في قصيدتها أحبك حبين.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الصوفي، العصر العباسي، رابعة العدوية، الحب الالهي. أحبك حبين.

مقدمة

ظل الشعر دوما معينا يرده الصوفية للارتواء من نبع التعبير الصادق وأداة مناسبة لتصوير أدق حقائق الطريق الصوفي تلك الحقائق التي تلوح لقلوب أتقياء هذه الأمة في ارتحالهم الذوقي لمنابع النور الالهي سيرا بأقدام الصدق والتجرد عن الأكوان وتحليقا بأجنحة المحبة لاختراق سماوات الأحوال والمقامات رهبة ورغبة في القرب من الله.

فالشعر الصوفي في أبياته القصار وقصائده الطوال يعبر عن أدق الرقائق والحقائق ما جعله على درجة عالية من الأهمية فارتضاه الصوفيون قالبا تعبيريا منذ فجر التصوف وحتى اليوم.

لذلك فمسوغ دراستي لموضوع بنية الخطاب الصوفي في العصر العباسي نابع من اعجابي بالنمط الشعري الصوفي العباسي، كما أن ارتباط التصوف بالزهد وانتشاره في العصر المحدد والحاجة إلى الاطلالة عليه والتقرب منه والتشرب من معانيه السابحة في ملكوت الرحمن اضافة إلى ذياع سيط الشاعرة الزاهدة رابعة العدوية التي أخذتها أنموذجا والتي تفردت بغزلها المرموق للخالق الواحد الأحد كله عوامل زادت من تشبتي بهذا الموضوع.

1- إرهاصات الخطاب الشعري الصوفي في العصر العباسي الأول والثاني:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من منا لا يعرف العصر العباسي هو العصر الذي قام على يد العباسيين بعد سقوط الدولة الأموية وقد نسب اسمها إلى عم الرسول ﷺ "العباس" والذي امتد بين 132-650 هـ الى 750-1258 فهو من أطول العصور العربية حضارة ورقيا رغم الشوائب التي تطوله، وإذا حاولت الولوج إلى الخطاب الشعري الصوفي في العصر العباسي الأول يمكن القول أن في هذا العصر شاعت حياة الترف والمجون والفساد حتى أضحت هذه الظواهر غير مستنكرة وكردة فعل ظهرت حركة الزهد كنزعة معاكسة لهذه الحياة التي يعيشها العباسيون، فقد ارتفعت موجة النسك وأخذت مجراها بين العديد من النساك فبدأت النزعة الصوفية تظهر في عدد من الشيوخ نذكر في طليعتهم **أدهم البلخي ورابعة العدوية** ، إذ لا نعتقد أن نزعة التصوف تطورت وبرزت في هذا الوقت وإنما أخذت مقدماتها. وقد حاول بعض المستشرقين الربط بين زهد النساك وزهد الرهبان المسيح إلا أننا وكما لا يخفى أن الزهد الاسلامي يختلف كثيرا عن المسيحي، فالزهد عند الرهبان يقوم على فكرة الخطيئة ، أما الاسلامي فهو لا يقر بهذه الفكرة التي تولد عذاب الجسد والروح فللبدن حق على المسلم كما حاول **جون تسيهم** أن يربط بين مقدمات نزعة التصوف الاسلامي وبين التعاليم الأفلاطونية هذا من جهة ومن جهة أخرى حاول ربطها بالبوذية، فقد بالغ في آراءه حول هذا الموضوع إلا أننا لا ننفي استفادة التصوف الاسلامي من بعض الجوانب. (i)

فالعصر العباسي الأول شهد بذور ومقدمات التصوف إلا أنه وبجانب هذه البذور كانت هناك موجات من زهد فاسد ومزندق والذي يدعو إلى متاع الدنيا والترغيب فيها واستباحة ما يستنكر من الفواحش والتفسخ الأخلاقي. ومعنى هذا أن العصر العباسي الأول حمل في طياته شكلين من أشكال الزهد الأول إسلامي يحاول أن يذكر الناس بالجنة ونعيمها وزخرف الدنيا الزائل ويذكر كذلك بثواب العابدين والتائبين والثاني فاسد مزندق يدعو إلى ملذات الدنيا والرغبة في ما حرم الله .

أما المتأمل للخطاب الشعري الصوفي في العصر العباسي الثاني نجد أن هذا العصر حمل في طياته وزر أمور كثيرة زرعت بذورها في العصر العباسي الأول، فقد كثرت موجة الانحلال والزندقة وازدادت حدة ، وإذا شاع انصراف الناس إلى شرب الخمر والسماع للغناء والذهاب للأديرة ولت نار الشعوبية مستعرة وأكثر مما كانت عليه في العصر الأول، فقد خرجوا عن الدين وتزندقوا إلا أن ظاهرة الزهد في العصر العباسي الأول أورثت بذورها في العصر الثاني، فالحديث عن الشعوبية والزندقة لا يعني أنه كان عصرا ملحدا، فالمجون كان مقصورا على البيئات الغنية والمترفة التي أفسدها مالها ومن كان يختلف إليها من الناس والشعراء لم يكونوا إلا شطرا قليلا من الجمهور، أما الباقي فلم يكن يعرف الترف والخمور والاثم إنما شظف العيش وتقوى الله واحتمال أعباء الحياة وإذا عرفت دور النخاسة والحانات الاكتظاظ، فإن المساجد كانت مكتظة أكثر بالعباد والنساك وكانوا أكثر من أهل الفساد، فالتحدث عن موجة التصوف تتسع مقدماتها وأخذت تظهر بشكل واضح في أواخر القرن الثاني هجري مع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ابراهيم بن أدهم ومعروف الكرخلي الذي أشاع فكرة التصوف والتأثيرات الأجنبية في نشأته وتطوره ومن بينهم فون كريمو الذي يقول بأن التصوف يشمل عنصريين أساسيين عنصر مسيحي وعنصر بوذي هندي. وقد خفق ماسينيون حدة هذا التأثير إذ يقول بأن التصوف نشأ من صميم الاسلام فقد ذهب في بحوثه ليعلي من شأن التأثير الاسلامي ويقلل من أهمية التأثيرات الأجنبية، فالزهد والتصوف وليدا الاسلام في لبهما وجوهرهما فمعالم التصوف ومبادئه أخذت في الوضوح من أوائل النصف الثاني في القرن الثالث حيث كثرت المصطلحات الصوفية من صفاء الذكر والزهد في الحياة والحب الالهي، فقد أعلن المتصوفة تمسكهم بكتاب الله تعالى واقتداء سنة نبيه والأكل الحلال والتوبة والكف عن الكبائر.[ii]

فالأدب الصوفي هو الأدب الذي أنتجه الزهاد والصوفيون بمختلف اتجاهاتها ويبحث في النفس الانسانية بعمق فلسفي يسعي لتطهير النفس والروح من حب الدنيا وزينتها، وإدخال الطمأنينة اليها كما يعكس الروح الدينية العالية عندهم.

ففي العصر العباسي الثاني شاع التصوف وفي أواخر القرن الثالث هجري بدا الشعراء بكتابة الشعر العباسي الثاني حتى تأصلت فكرة المعرفة الالهية ومحبة الله وأن الصوفية أولياء الله ومن بينهم الشاعرة "رابعة العدوية" (iii) في قصيدتها **أحبك حبين** الذي نحن بصدد دراستها .

2– قصيدة أحبك حبين

عَرَفْتُ اَلْهَوَى مُذْ عَرَفْتُ هَوَاكَ ... وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي عَمَنْ سِوَاكَا
وَكُنْتُ أُنَاجِيْكَ يَا مَنْ تَرَى ... خَفَايَا القُلُوْبَ وَسِلْنَا نَرَاكَا
أُحِبُكَ حُبَيْنْ حُبْ الهَوَى ... وَحُبَ لِأَنْكَ أَهْلٌ لِذَاكَا
فَأَمَا الذِيْ هُوَ حُبُ الهَوَى ... فَشُغْلِيْ بِذِكْرِكَ عَمْنْ سِوَاكَا
وَأَمَا الذِيْ أَنْتَ أَهْلَهُ لَهُ ... فَكَشْفُكَ لِلْحُبْ حَتِى أَرَاكَا
فَلاَ الحَمْدُ فِيْ ذَا وَ لاَ ذَاكْ ... لَكِن الحَمْدُ فِيْ ذَا وَذَاكَا
أُحِبُكَ حُبَيْنْ حُبْ الهَوَى ... وَحُبًا لِأَنْكَ أَهْلٌ لِذَاكَا
وَأَشْتَاقُ شَوْقَيْنْ شَوْقْ النَوَى ... وَشَوْقْ لِقُرْبِ الخَلِيْ مِنْ حِمَاكَا
فَأَمَا الذِيْ هُو شَوْقْ النَوَى ... فَمَسْرَى الدُمُوْعَ لِطُوْلِ نَوَاكَا
أَمَا اشْتِيَاقْ لِقُرْبِ الحِمَى ... فَنَارُ حَيَاةَ خَبَتْ فِيْ ضِيَاكَا
وَلَسْتُ عَلَى الشَجْوْ أَشْكُوْ الهَوَى ... رَضَيْتُ بِمَا شِئْتَ لِيْ فِي هِدَاكَا [iv]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن للأدب الصوفي مصطلحات تضبطه وتحدد مساره، فالمتطلع لهذا الأدب يجده عالما سيميائيا مليئا بالطلاسم والشفرات لا يدرك مراميها إلا من فقه القاموس الصوفي وتوغل فيه لأن هذا الأخير في فلسفته التي تمجد حسن الأخلاق والاعتلاء بالنفس البشرية في عبادتها وتضرعها للمولى عزوجل وحبها للرسول ﷺ وتبنى كل السلوكات على مبدأ التخلي والتحلي أي أن يتحلى المرء ما حسن الأخلاق حتى يرقى في حياته وفي نفس الوقت يتخلى عن السجايا الدنيئة التي تحط من قيمته دينيا ودنيويا من ذاك ما جاء من أقوال وانشاء في حب الذات الالهية.

ولعل رابعة العدوية أفضل من تمثل هذه الفلسفة الشعرية الصوفية ، فكانت قصيدتها المشهورة أحبك حبين اختيارنا الأول لمحاولة فك طلاسمها واستكناه مقاصدها بتفكيك بنيتها وذلك بالوقوف على أهم مستوياتها:

2-1 سيميائية العنوان:

"ان العنوان لم يعد مجرد اسم يدل على العمل الأدبي بل تجاوز ذلك وأصبح مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها برابط يربطها بالنص، فهو بمثابة المدخل الذي ندخل من خلاله إلى النص ومن هذا يكون العنوان بمثابة المفتاح السري للولوج داخل النص".(v)

ويحظى العنوان عند السيميائيين باهتمام خاص بحيث يعتبرونه الكل وباقي المقاطع ماهي إلا تفريعات نصية تنبع من العنوان الأم. لذا سندخل هذا النص الشعري المختار بواسطة عنوانه وهو **أحبك حبين** التي تعد من احدى القصائد الوجدانية التي تبين لنا براعة الشاعرة الفكرية والابداعية، فالعنوان له طابعه وسحره الخاص به محيلا إلى معان كثيرة منها نفسية والتي تعكس الحالة الشعورية للشاعرة ووجدانية بكشفها عن تعلقها بالخالق.

والعنوان جاء تعبيرا أصيلا عن أعماق الذات المحبة للمولى لتضع نفسها في نشوة الحب الالهي، فكلمة الحب كلمة لها عدة دلالات فهي تعني الحياة وتعني رابعة بها أنها مخلصة لله وأنها تحتاج إليه ولا تريد اغضابه وأنها مرتبطة به اشد الارتباط ولا يمكنني حصر هذه اللفظة بمعنى واحد فما أبسطها من حروف وما أجلها وأعظمها من معان تلك التي يزرعها الحب.

كما يكشف العنوان أن رابعة تحب الله حبين حب أول وهو حب الهوى وحب ثاني لأنه أهل لذاك، فمن خلال هذا نستنتج أن العنوان واقعة لغوية يمارس سلطته على القارئ ويقذفه في دهاليز النص المليئة بالحب والتأمل والتفكير، فعنوان هذه القصيدة يبرز نفسية الشاعرة وما يكتنفها وهذه هي سمة العناوين المميزة التي تحثني داخل النص الشعري لمعرفة ما سيشي به.

2-2- المستوى الايقاعي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعد الموسيقى عنصر أساس من عناصر العمل الشعري فبواسطته يكتسي الشعر طابعا جماليا يساعد على التأثير في نفسية المتلقي. يقول إليوت: " ومن خصائص الشعر الاحتفاظ بالموسيقى في الشعر لأنه يساعد على تصوير خلجان النفس وقت الانفعال"[vi]

فالشعر الخالي من الموسيقى أشبه ما يكون بالجسد الميت عديم الحركة ولهذا يرى بعض النقاد أن الحد الفاصل بين الشعر والنثر هو الموسيقى.

3- الايقاع الخارجي:

إن من الايقاع ما كان بسيطا ومركبا يضمن استجابة الانسان للشعر فيتذوقه وينفعل معه بسهولة، ليتكون الذوق عنده على أساس مسلمة من مسلماته، ذلك أن بحر المتقارب يحمل ايقاعات بسيطة لقرب أوتاده من أسبابه، وتماثل تفعيلاته وقصرها وفي هذه القصيدة اعتمدت رابعة على هذا البحر بإيقاعه البسيط وتفعيلاته الخماسية المناسبة ومفتاحه:

عن المتقارب قال الخليل فعولن فعولن فعولن فعولن [vii]

وفي هذا البيت تمثل هذا البحر:

وَأَشْتَاْقَ شَوْقُنْ شَوْق اْلنَوَىَ وَشَوْقً لِقُرْبِ الخَلِيْ مِنْ حِمَاكَاْ

وَأَشْتَاقُ شَوْقَيْنْ شَوْقْ نَنوَاَ وَشَوْقَنْ لِقُرْبِ لْخَلِيْ مِنْ حِمَاْكَاْ

0//0/0/ /0/0/ /0/0// 0//0/0// 0//0 0/0//0/

فعولن فعولن فعولن فعو فعولن فعولن فعلون فعولن

يجب الاشارة هنا إلى أن فعو جاءت مجزءة محذوفة تحول إلى فعل.

أما القافية أو الروي فهي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي" ما بين الساكنين الأخيرين من البيت مع الساكن الأخير "[viii]

وتطبيقا على القصيدة فقافيتها سواكا نواكا، هداكا، لذاكا ...

فهي حروف الألف والكاف والألف وهي نفسها في جميع أرجاء القصيدة .

أما الروي في هذه القصيدة فهو حرف الكاف وهو آخر حرف ورد في كل أبيات القصيدة وهو حرف متوسط الشيوع في الشعر العربي.

4- الايقاع الداخلي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكل نص ايقاعات داخلية تفجر المكبوت بحيث تعمل على توليد فضاءات دلالية وأبعاد جمالية ومن هذا يكون التشكيل الموسيقي مرتبطا أكثر بالحالة النفسية للشاعرة ومن هنا يكون الايقاع الداخلي هو " مجموعة العلائق فيما بين الوزن والشحنات الايقاعية في دفقتها الشعرية وما نتج عن ذلك من مكونات وتموجات نفسية تتلائم مع قوى تفاعل الكلمة [ix] ومن خلال تتبعنا لقصيدة رابعة العدوية وقفنا عند العناصر التي تتشكل منها الموسيقى الداخلية وهو ثلاثة الشد والمد وتكرار الحروف:

4-1- الشد:

فالشاعر الفذ هو الذي يعيش التجربة وينفعل بموضوع قصيدته فإصرار الشاعرة على حب المولى وانفعالها يجعل الحروف الحادة المشددة أكثر سيطرة على جو القصيدة وعلى موسيقاها، فالأبيات جاءت كاشفة لمدى حب الشاعرة وتعلقها بالمولى وهذا ما بينه اظهار الألفاظ المشددة: أحبك، عمن، النوى، الشجو... "فمن المعلوم أن استخدام التشديد في اللفظة يضخم حالة الانفعال ومن هنا فظاهرة الشد تساهم في حمل المتلقي على معايشة التجربة ولا شك فإن هذا التصور الذي ذهبت إليه رابعة لترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي" [x] فإذا كانت الكلمات والحروف ذات معنى وقيمة في البناء الشعري، فإن الحركات لا تقلُّ قيمتها عن قيمة الكلمة فقد ساعدت حركة الشد في هذه القصيدة على التعبير عن مكبوتات الشاعرة وانفعالاتها .

4-2- المد:

"يتحقق الايقاع الصوتي من كثرة استخدام الحروف الممدودة التي تمثل ظاهرة صوتية بارزة وهناك المد بالألف والواو والياء" .[xi]

فكما نلاحظ نجد عدة كلمات ممدودة مثلا أشكو، خفيا، لسنا .... فنلمس في هذه الايقاعات الطويلة أن الشاعرة تفرغ مكبوتاتها، فحروف المد تحدث ايقاعا متناغما يحسن مستقبل هذه الأبيات بنظام ايقاعي يهزه ويحرك أوتار مشاعره.

4-3- التكرار:

يعد التكرار من الظواهر الصوتية التي تؤدي دورها في تعميم الايقاع الصوتي فكل تكرار في هذه القصيدة يقوي الجرس الموسيقي، فتكرار الحروف في البيت الواحد يشبه الظفيرة الصوتية، وتكرار الحروف ميزة تميز لغة الشاعرة رابعة العدوية وذلك ما نجده في وحداتها فقد تكرر حرف الراء كثير مثل قولها: ترى، بذكر، بقرب، رضيت، عرفت... ونظرا لما يمتاز به حرف الراء من حدة مكبوتة تمثلها حركة التصاق اللسان بأعلى سقف الحلق وهو أيضا من الحروف الجهرية وهو مرتبط بالمشاعر ومصور للموقف المناسب الذي كانت فيه الشاعرة ومن تضرع وحب وشوق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما تردد حرف اللام بصفته الجهرية ليثير جوا من التوتر ويوحي بارتفاع الصوت وحدته كقولها: قلبي، لطول، لقرب، أغلقت ... وهذا ما يتفق مع طبيعة التجربة الشعرية لرابعة التي تصرح فيها بحبها اللامتناهي للذات الالهية والذوبان فيها كل ذلك في "اطار موسيقي فخم ينسجم فيه المعنى بالمبنى."[xii]

5-المعجم الشعري

ان التعبير عن التجربة الصوفية عند رابعة العدوية يعج بالألفاظ والرموز التي تحمل داخلها انفعالات التصوف والمشاعر الفياضة بالحب الالهي، فنجد اللغة الشعرية عند رابعة تولد معان داخلية ذلك أن اللغة عملية ابداعية تنطوي ضمن اطار يغلف المعنى الذي يقصده بحيث توحي تلك الرموز وتلميحات وتأويلات لا متناهية وهذا ما يكسب لغتها تميزا وتفردا .

وهذا ما سنحاول ابرازه من خلال شرح بعض الألفاظ الموحية التي جاءت في القصيدة والجدول الآتي يوضح ذلك

6-- شرح الألفاظ الموحية في القصيدة [xiii]

اللفظة/ المصطلح	المعنى اللغوي	المعنى الصوفي
الشوق	هو أن يتوق بشخصين لبعضها البعض	أما عند الصوفية فهو حب يتوجه من الأسفل إلى الأعلى من طبيعة بشرية إلى مرتبة الحب الالهي وهي نزاع القلب إلى لقاء المحبوب .
الحب	عاطفة متينة تربط بين انسان وانسان كحب الأم لابنها	حب الله أساس حياتها ومعيار عقلها وقلبها.
الحجب	المنع أو الستر	عند الصوفية المرض الذي يصيب لصوفية هو القلوب الغافلة عن عبادة الله فت لا تبصر حقيقة وجودها فتصبح عمياء.
الخلي	هو بيت النحل الذي تعسل فيه .	أما في القصيدة فيقصد به القلب الفارغ الخالي من الهموم ومن الغرام والحب.
النوب	البعد .	وتقصد به الناحية التي تريد الذهاب اليها وهي حب الله .
الشجو	الهم و الحزن .	رضاها بما قدر الله لها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبقراءة تأويلية لدلالة هذه العناصر المعجمية يتضح لنا أنها انفكت عن دلالتها اللغوية لتحمل دلالات وشحنات جديدة، فالشاعرة من خلال ايحاءاتها بهذه الألفاظ امتطت صهوة الشعر الصوفي بجدارة حيث كان وقع ألفاظها على النفس أبلغ، فبدت مرهفة الاحساس محبة لعهودها وفية لمن أحبت.

7- سيميائية وحدات الربط:

تعتبر ظاهرة الربط من بين أهم الخصائص التركيبة التي تلعب دور مهم في بنية النص لما لها من أهمية كبيرة في جعل النص بنية كلية متماسكة، فلكل حرف من حروف الربط وظيفة تختلف عن الأخرى. ومن صور ذلك:

أ- **الواو**: تفيد الاشتراك في الحكم دون تقيد بترتيب زمني محدد حيث أن اتصال الواو بالوحدات(ولسنا، وحبا، ولكن، وشوق، واغلقت...) فهي تصور لنا حدثا وتبين لنا عالما جديدا.

ب- **الفاء**: تفيد الترتيب مع التعقيب فارتباط الفاء بالوحدات (فشغلي، فكشفك، فنار...) دلت على الانتقال من فكرة إلى أخرى وساهمت في استحضار الفعل.

ج- **خصوصية اللغة الموظفة:**

"إن المستخلص لأبنية نص **أحبك حبين** على مستوى المفردات والتراكيب سوف ينتهي إلى معرفة خصوصية اللغة "[xiv] ولعل أبرز ما يميز هذه القصيدة مايلي:

السهولة: فهي سهلة النطق وحروفها ليست متنافرة وهذه الميزة هي من أبرز خصائص النص الشعري.

البساطة: فقد جاءت الألفاظ بسيطة مفهومة ولم تكن غريبة وكانت موحية: أشكو، أحبك، أراك، بذكرك...

الدقة: إن الألفاظ هذا الخطاب الشعري جاءت محكمة الدلالة كما أنها تدل على انفعال ذات الشاعرة مع حبها للمولى.

د- **سيميائية الحروف**: أما بالنسبة للحروف فإننا نجد حروفا تخرج من أعماق حلقية ومن هذه الحروف(الحاء، العين) فقد وردت تقريبا في جميع الكلمات فدلالة الحرف في الكلمة تضرب في العمق وهي علاقة غير اعتباطية فهي مقصودة كقولها" عرفت، أحبك.."

8- المربع السيميائي:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يساعد المربع السيميائي على تمثيل العلاقات التي تقوم بين وحداته وذلك بقصد إنتاج الدلالات التي يعرضها النص على القارئ فالمربع السيميائي يضبط العلاقات المنطقية القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة في جوهر النص بهدف اكتشاف بنيته الدلالية العميقة المؤسسة له والمتحكمة في بنيته السطحية والظاهرية.

و يعرفه غريماس" بأنه التمثيل المرئي المتفصل المنطقي لمقولة دلالية ما"[xv]

فالمربع السيميائي يستعمل لتمثيل نسق العلاقات القائمة بين الوحدات الدلالية لتوليد دلالات جديدة تتجلى في علاقات تضادية ورابعة العدوية أوردت تضادات جلية وبارزة في نصها "أحبك حبين" ففي ثنايا قصيدتها نجد هوى النفس للنفس البشرية يقع في تضاد مع هوى النفس لذات الالهية وهذا ما يظهر جليا في المربع السيميائي الآتي:

المربع السيميائي:Carré Sémiotique

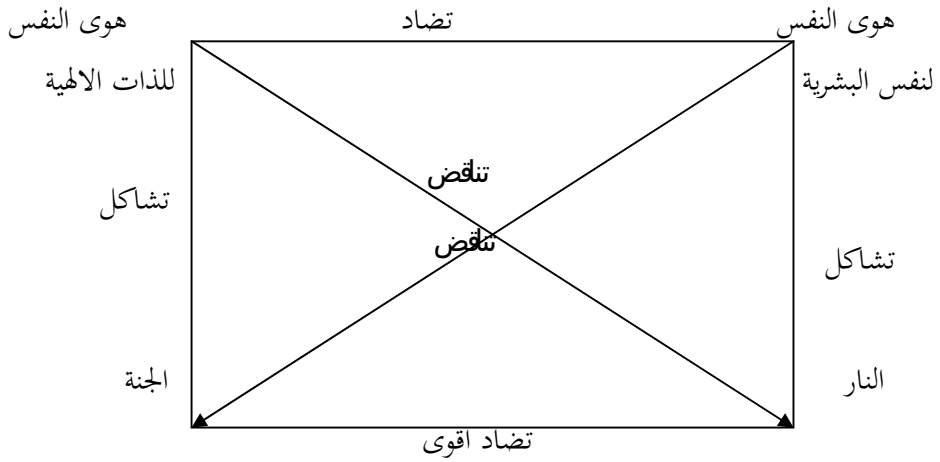

فهوى النفس للنفس البشرية تسوق صاحبها إلى المهالك أو إلى النار كما يوضحه لنا السياق بينما هوى النفس للذات الالهية تسموا بصاحبها لجنات النعيم وإلى مراتب عليا. فهذه الثنائية المتعالقة هي اختصار للصراعات الموجودة داخل النص حاملة لسمات متضادة فيما بينها وبهذا نستدل أن القصيدة متشابكة فيما بينها وتتطلب قراءة للسطور المكتوبة قراءة تأويلية سيمائية.

خاتمة

آن الأوان أن نحط رحالنا لنستجمع حزمة الأمور تطرقنا إليها ونلقي نظرة شاملة، ونقتطف من روضة الأدب الصوفي أهم النتائج والتي من أهمها:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* يعد الحب الالهي من أهم مرتكزات الفكر الصوفي كما هو بارز لدى فكر رابعة العدوية كما أن لغة المتصوفة اتسمت في أحيان كثيرة بالغموض والتداخل وذلك بسبب خصوصية أحوالهم ومواقفهم التي يرمون إلى تصويرها والتعبير عنها إضافة إلى أن النص الشعري الابداعي هو مزيج بين العناصر الأسلوبية والنفسية والاجتماعية والفلسفية كلها تأتي منصهرة في أتون واحد يتفاعل معها المتلقي وفق مرجعيات مختلفة.

* إن الأدب العباسي يزخر بكنوز شعرية كثيرة، وأن المتصوفة والشعراء على حد سواء استعملوا الكتابة الشعرية للتعبير عن تجاربهم العرفانية وأحوالهم الذوقية ومجاهداتهم النفسية، وقد ترابط الشعر مع التصوف منذ مرحلة مبكرة لينتعش مع القرن الثالث.

* أسهم المنهج السيميائي في فتح آفاق جديدة في البحث أمام الفكر، بتوسيع دائرة اهتماماته بصورة تجعله ينظر إلى جوهر النصوص والأدبية الابداعية بعمق، فلا يقنع بما هو سطحي، ولا يقتصر على الأحكام السطحية والظاهرية بل يعالجها بعمق ويغوص في معانيها الباطنية والجوهري

الاحالات:

1– شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف، النيل القاهرة، ط 13 ، 2005، ص: 85–87

2– شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف القاهرة .ط 13 ، 2005، ص: 91

3– رابعة العدوية هي أم الخير رابعة بنت اسماعيل القيسية من مواليد القرن الثاني هـ في البصرة وكانت رابعة زاهدة عابدة محبة لله فهي من اشهر النساء اللائي عرفن بعزوفهن عن الحياة الدنيا وقد اطلق عليها البعض شاعرة المحبة الاهية كانت أول من نقل الزهد إلى الافق الصوفي الاسلامي وأول من حول الزهد من الخوف إلى الحب وهي مؤسسة مدرسة الحب الالهي في التصوف الاسلامي وأفضال رابعة على التصوف كثيرة فاليها يرجع الفضل في اشاعة لفظ الحب عند من جاء بعدها من الصوفية توفيت عام 135هـ من أهم أشعارها كاسي وخمري أحبك حبين. راحتي في خلوتي. ينظر: المنجي يونس وآخرون: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل، بيروت نط1 ،2006، ص: 7–8

4– مجدي كامل: أحلى قصائد الصوفية، عربية للطباعة و النشر، ط 1، 1997، ص: 123

5– عبدالمالك مرتاض: دراسة سيميائية لقصيدة أين ليلاي آل خليفة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،د ط ،د ت، ص: 71

6– الناص، مجلة فصلية جامعة الجزائر، ع2–3، د ط ، 2004، ص: 216

7– عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار الافاق العربية ،د ط، 2004، ص: 68

8– عمر خليفة بن ادريس: البنية الايقاعية في شعر البحتري ، بنغازيا، ليبيا، ط 1، 2003، ص: 125

10– عبد القادر فيدوح: دلائلية النص الأدبي، د ط ، د ت، ص: 41

11– المرجع نفسه، ص: 41

12– المرجع نفسه، ص: 41

13– المرجع نفسه، ص: 57

14 ينظر: لطفي فكري محمد الجودي: النص الشعري بوصفه أفقا تأويليا، المختار للنشر والتوزيع، ط 1، 2011، ص : 82

15– الناص، مجلة فصلية، جامعة الجزائر، ع2–3، د ط ، 2004، ص: 108

16– ينظر: نادية بوشفرة : مباحث في السيميائية السردية، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، د ط ، 2008، ص: 104

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com